

دور الأسواق التراثية في تعزيز التنمية السياحية المستدامة

(اثنوغرافيا سوق الخريف بمدينة باتنة)

**The role of heritage markets in promoting sustainable tourism development
(Ethnography of the autumn market in Batna)**

عبلة علاوة، محفوفي عقيلة

¹ جامعة وهران 2 - CRASC . aabla_05@yahoo.fr² جامعة مولود معمري تيزي وزو . aabla_05@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: تاريخ القبول: تاريخ النشر:

الملخص:

تمتلك الجزائر كغيرها من الدول العربية والإسلامية وحتى الأوروبية إرثا ثقافيا وتراثيا عريقا تضرب قيمته الإنسانية في عمق التاريخ، ويمتد لحضارات متتالية من الفينيقية إلى البيزنطية والروماني والأمازيغية وأخيرا الإسلامية. والتي تزخر بتراث ثقافي عريق لما تحتويه من نسيج عمراني وراثي ثقافي ضارب في عمق التاريخ يعمل على حفظ الذاكرة الجماعية ويعزز الهوية الوطنية. مما جعلها أحد الأقطاب السياحية بامتياز لما تحويه من تراث مادي ولا مادي وتنوع ثقافي من المكونات التراثية والتعابير الثقافية تتداخل فيه عادات وتقاليد تحمل سمات ومقومات الهوية الثقافية. وغناها بالعديد من المنشآت الاقتصادية والاجتماعية والعلمية التي تعد عماد النشاط الثقافي والسياحي. ما أهلها لأن تكون واجهة سياحية بالدرجة الأولى وعاملا أساسيا في إنجاح السياحة التراثية والثقافية. سواء بالنسبة للسياحة الداخلية أو الوافدة.

يعد سوق عيد الخريف من بين أعرق الأسواق التراثية بمنطقة "تكوت" التي تعتبر إحدى بلديات "باتنة" التاريخية بما يحويه من منتجات وتظاهرات ثقافية تسهم في إنجاح السياحة من خلال تركيبته الرمزية ومحتواه التراثي ونشاطاته الفنية التي تجذب السائح ، وإننا من خلال هذا البحث سنحاول قدر المستطاع وصف الحدث المتضمن في اثنوغرافيا السوق محاولين تحديد بعض بنياته الأساسية مركزين على التنظيم الاجتماعي والبناء الثقافي بل السلوك البشري بين عناصر السياق الذهني والمادي الذي يتحركون فيه لتنظيم وجودهم الملموس في السوق وعلاقته بالتنمية السياحة المستدامة من خلال الإجابة

على التساؤل التالي: هل سوق عيد الخريف بمدينة باتنة يلعب دورا مهما في ترقية السياحة المستدامة وتنشيطها؟

الكلمات المفتاحية: اثنوغرافيا، السياحة التراثية، التنمية المستدامة، التنمية السياحية.

Abstract :

Algeria, and other countries Arabic Islamic and even European countries, has a rich cultural and heritage whose human value is deep in history and extends to successive civilizations from Phoenician, Byzantine, Roman, Amazigh and finally Islamic. It has a rich cultural heritage because it contains an architectural texture and a cultural heritage steeped in the history that works to preserve the collective memory and enhances the national identity. This made it one of the tourist poles with distinction because of its tangible and intangible heritage and cultural diversity of heritage components and cultural expressions in which customs and traditions overlap with the characteristics and elements of cultural identity. It is rich in many economic, social and scientific establishments that are the mainstay of cultural and tourism activity. This has enabled it to be primarily a tourist destination and a key factor in the success of cultural and heritage tourism.

The market is considered one of the oldest heritage markets in the region "Tkot", which is one of the municipalities of "Batna" historical products and cultural events that contribute to the success of tourism through its symbolic composition and heritage content and artistic activities that attract tourists, and we will try through this research to the extent possible, describe the event involved in market ethnography, attempting to identify some of its infrastructure, focusing on social organization and cultural construction, but human behavior between the elements of the mental and physical context in which they move to regulate their tangible presence in the market and its relationship to sustainable tourism development of the following question: Is the fall holiday market in the city of Batna plays an important role in promoting sustainable tourism and revitalization?

Keywords

Ethnography/ heritage/ cultural market/ cultural tourism/ developpements sustainable/ tourisme development.

إشكالية الدراسة:

لا يخلو أي بلد في العالم من الأسواق الشعبية رغم عصرا لحدثة وغزو عالم المراكز التجارية الكبرى باعتبارها عنصرا هاما من عناصر الحياة المعيشية للكثيرين ممن يعتبرونها تقليدا متوارثا، ووسيلة مهمة للتعرف على ثقافة الشعوب بما تمتلكه من رونق خاص يعكس التراث والتقاليد، حيث يعرض فيها مالا يجده المواطن في الأسواق الحديثة كونها ارتبطت بالعادات والتقاليد المحلية لكل منطقة.

وتعتبر الجزائر "بشواطئها وسهولها وهضابها" وجهة من بين الوجهات السياحية بامتياز ونقطة جذب سياحي مهمة لغناها بمواقع أثرية وبتراث ثقافي مادي ولا مادي وتقاليد قديمة ساحرة تظل تسحر الوافدين والسواح الذين يستكشفونها. حيث تحتل المواقع الأثرية والأسواق الشعبية الاهتمام الأوفر وبالتالي تعتبر أماكن جيدة تشجع السياحة المستدامة في هذه المواقع الأقل شهرة واستخدام التنوع الثقافي والطبيعي

فما زالت تستقطب الأسواق الشعبية إليها الزوار من الداخل والخارج، والتي تقام في الكثير من المناطق في الساحات مرة في الأسبوع حتى باتت تسمى بأيام الأسبوع (سوق الخميس، سوق الاثنين، الجمعة.... الخ) بالإضافة إلى بعض الأسواق التراثية التي ارتبطت تسميتها بمناسبات خاصة مثل سوق عيد الخريف في بلدية تكوت بمدينة باتنة بما يحمله من خصوصية تميزه عن غيره من الأسواق، كونه يعد من أعرق الأسواق بمدينة باتنة. التي تعتبر وجهة من بين الوجهات السياحية الهامة في الجزائر بما تحتويه من ارث ثقافي وحضاري تعاقبت عليه الحضارات والأجيال مما يسهم في التنمية السياحية لمنطقة تكوت التاريخية والحضارية بما تحتويه من نسيج عمراني وارث ثقافي ضارب في عمق التاريخ والتي يمكنها أن تسهم في إنجاح السياحة، وهو ما أهلها لأن تكون واجهة سياحية بالدرجة الأولى.

فحسب طالب الرفاعي¹ الجزائر تمتلك العديد من المقومات والطاقات والمميزات السياحية التي تمكنها من تحقيق تنمية سياحية بشكل مستدام، كما تعتبر بلد واعد بإمكانه أن يصبح وجهة سياحية كبيرة ومقصد سياحي باختلاف أنواعه مما يستلزم الحفاظ على هذا الإرث الحضاري والثقافي خاصة سوق عيد الخريف وما يساهم في دعم السياحة المستدامة بعدة طرق مما يجلبه من سياح ووافدين لهذا النوع من السياحة التقليدية التي توفر فرصة اكتشاف وتجربة البيئة الطبيعية بالتالي تحقيق الإيرادات للمجتمع المحلي والمنطقة.

يحضر السوق في تصوراتنا الجمعية بصور ومفاهيم تختزله في البساطة باعتباره تجمع كبير لأنشطة مختلفة يجتمع حولها الأفراد لتلبية ما يحتاجونه، بينما تتخذها العديد من العلوم الاقتصادية والاجتماعية والانثربولوجية مدخلا هاما لفهم الشعوب والمجتمعات، حيث تتخذ من الأنشطة والعلاقات موضوعا للدراسة والبحث باعتبار هذا الأخير (السوق) مرصدا مهما لفهم سلوكيات الأفراد في كل تجلياتها مما يحقق للباحث الانثربولوجي خاصة مرصدا مهما لإعادة تشكيل المفاهيم وتحليلها وفقا لما تقتضيه

المعارف والعلوم. .وأنا في هذا العمل نتخذ من السوق الشعبي المسمى بسوق عيد الخريف ببلدية تكوت الواقعة بمدينة باتنة ميدانا للبحث والتقصي الانثوجرافي نظرا لحضوره في ثقافة المجتمع عبر تاريخ طويل وحتى الآن، ومنه فإننا نحاول كباحثين انثربولوجيين أن نفهم البنية الاجتماعية والثقافية لهذا السوق ونحاول أن نفلك رموزه ودوره في تعزيز التنمية المستدامة. وهذا ما تسعة إليه دراستنا من خلال الإجابة على التساؤل التالي:

- هل سوق عيد الخريف بمدينة باتنة يلعب دورا مهما في ترقية السياحة المستدامة وتنشيطها؟

فرضية الدراسة:

على ضوء ما تقدم وأملا في تحقيق أهداف الدراسة سلطنا الضوء على سوق عيد الخريف كوسيلة جذب سياحي ومحرك أساسي لتحقيق التنمية المستدامة فتوصلنا إلى الفرضية التالية:

- المنتجات السياحية لسوق عيد الخريف ذات فاعلية ودور عالي في تحقيق مستوى عالي من رضا السائحين وبالتالي يسهم السوق الشعبي في تعزيز التنمية السياحية المستدامة.

أهمية الدراسة:

تكتسي الدراسة أهميتها من أهمية التراث الثقافي وعلاقته بقطاع السياحة بحد ذاتها وذلك لما تملكه الجزائر من مقومات ومكونات سياحية طبيعية مادية وبشرية وتماشيا مع المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية في إطار التنمية المستدامة.

- محاولة التعريف بالسوق الشعبي لعيد الخريف بمنطقة تكوت بمدينة باتنة كنموذج هادف يحافظ الإرث الثقافي ويحقق التنمية المستدامة.

- أهمية الأسواق الشعبية في التنمية السياحية

دوافع الدراسة:

- هناك عدة مبررات للبحث والتقصي في اثنوغرافيا سوق عيد الخريف نذكر منها:
- الميزة السياحية الخاصة لولاية باتنة بما تحويه من نسيج عمراني وثقافي يضرب في عمق التاريخ.
- ضرورة الاهتمام بسوق عيد الخريف وإعادة بعثه من جديد كسوق تراثية هامة في التنمية المستدامة.

الجانب المفاهيمي للدراسة:

اثنوغرافيا: تعني الدراسة الوصفية لطريقة وأسلوب الحياة لشعب من الشعوب أو مجتمع من المجتمعات أو مجموعة التقاليد، والعادات والقيم والأدوات والفنون، والمأثورات الشعبية لدى جماعة أو مجتمع معين، خلال فترة زمنية محددة.... وتعتبر طريقة وأداة لفهم أساليب مجتمع -أو جماعة من خلال معرفة أفكارهم ومعتقداتهم وقيمهم وسلوكياتهم، وما يصنعونه من أشياء يتعاملون معها، ويتم ذلك عن طريق الملاحظة بالمشاركة الاثنوغرافية.

- **السياحة التراثية:** تعرف السياحة التراثية بأنها “السفر لتجربة الأماكن والأنشطة التي تمثل في الأصل قصص وشعوب الماضي” السياحة التراثية والسياحة الثقافية قريبة من بعضها البعض مع تركيز السياحة التراثية على الآثار من الماضي والسياحة الثقافية التي تركز على الأشكال المعاصرة للثقافة.²

- التنمية السياحية: هي العمل المنظم المستمر لإنعاش الصناعة السياحية³، كما تعرف على أنها عملية توفير التسهيلات والخدمات لإشباع حاجات ورغبات السياح.
 - التنمية المستدامة: تعتبر التنمية المستدامة من المفاهيم التي أحدثت ثورة فكرية في علم الاقتصاد تجاوزت الفكر الكلاسيكي فاتحة آفاق جديدة لتشمل البعد الاجتماعي والبيئي يسمح بالنظر لاقتصاد من زوايا متعددة من خل البعد الثقافي.
 - التنمية السياحية المستدامة والمتوازنة: تعرف على أنها تنمية يبدأ تنفيذها بعد دراسة علمية كاملة في إطار التخطيط المتكامل للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والبيئية داخل الدولة ككل أو داخل إقليم تتجمع فيه مقومات التنمية السياحية من عناصر جذب طبيعية وحضارية.
- أولاً: الجانب العملي للدراسة:

1. الأدوات المستخدمة في الدراسة:

- الملاحظة المباشرة المنظمة: تعتبر الملاحظة أداة رئيسية للبحث الاجتماعي وهي مصدر لحصول على البيانات، حيث توجه الحواس لمشاهدة ومراقبة سلوك معين أو ظاهرة معينة، وتسجيل جوانب ذلك السلوك أو خصائصه رغبة الكشف عن صفاته وخصائصه بهدف الوصول إلى كسب معرفة جديدة عن تلك الظاهرة. 4
- المقابلة الحرة: إذا كان من بين العمل الاثنوغرافي استخلاص القيم الرمزية للسوق وما يمثله هذا الأخير في الذاكرة الجماعية فإن المقابلة وسيلة أساسية في تحقيق هذا الهدف والحوار ضروري في هذه الحالة.
- الملاحظة بالمعايشة: تعتبر أفضل وسيلة منهجية لفهم ثقافة المجتمع .
- الإخباريين: المخبرين الذين كانوا لنا بمثابة التأشير التي أتاحت لنا معايشة فضاء السوق وسط حراك الوافدين والتجار والحضور. وإن نجاح العمل الحقلية يتوقف إلى حد كبير على حسن اختيار الإخباريين والتعاون معهم فهم يمثلون حلقة الاتصال بين الباحث ومجتمع البحث طوال فترة الدراسة مما يقدمونه من عون كمصادر للمعلومات على ثقافتهم. فحسب " كريك يايلي B.Carrick" الأشخاص الذين يسمحون له بالقيام بملاحظة سلوكياتهم يسمون إخباريين. 5

- الوصف الاثنوغرافي: يعتبر كتابة لثقافات بالنسبة لنشاط لغوي وبصري في نفس الوقت وتجربة المشاهدة التي تحاول تكريس معرفة الأنثروبولوجيا بالرجوع المستمر إلى المشاهدة.

2. منهج الدراسة:

من الناحية المنهجية لا يمكن فهم أي عنصر ثقافي من ثقافة أي مجتمع إلا إذا أخذناه في إطاره الكمي أو كما يقول " كلود ليفي ستروس " أن بعض الأدوات أو الوسائل قد تبدوا متى أخذناها على حدة وكأنها معطى من المعطيات الخام أو إرثا تاريخيا أو أداة تكيف بين الإنسان وبيئته لكننا إذا ادرجناها ضمن القاعدة العامة أو البناء الكلي للمجتمعات التي تسعى الأنثروبولوجيا لتكوينها بدت لنا عندئذ في ضوء جديد ، فلا يمكن الحديث عن السوق إلا في إطار البناء الكلي للحياة البدوية فهي عنصر ثقافي يرتبط بالعناصر الأخرى بعلاقة ووظيفية تفرضها طبيعة الحياة بكل مستلزماتها وشروطها الضرورية, مكنتنا هذه العلاقة من فهم فضاء السوق كفضاء اجتماعي يعكس المجتمع وثقافته ومرجعته التي تمتد للماضي ولا زالت الذاكرة الجماعية تحتفظ بها.

ثانيا: الجانب النظري للدراسة:

أ. الأسواق الشعبية بين التراث والسياحة :

إن السوق يعني المكان المخصص للبضائع والاحتياجات الضرورية، يتكون من تجمع عدد من الوحدات. وهو عادة غير منتظم الأبعاد إذا لا تشكل حاجز بين البائع والمشتري نظرا لانخفاضها وامتلائها بالمواد المعروضة تكون فيه علاقة الشخص السائر في السوق مباشرة مع البضائع.

فلا يزال يلعب السوق الدور البارز والمهم في الحركة التجارية، حيث انه رغم الحداثة لم يفقد قوته ولا سيطرته على جوانب عديدة من الحركة التجارية، بما يتناسب وينسجم مع المتطلبات البيئية والحياتية، كما انه يمثل وجهة حضارية مهمة، حيث أن السوق يعكس الطابع القديم لأسواق ويعد مقصد للجميع من أماكن مختلفة التي يحرص الزبون فيها والزائر على ارتيادها والتجوال فيها والتقاط الصور التذكارية لها، وبذلك أصبح للأسواق التراثية أهمية سياحية بالإضافة إلى الأهمية التجارية، وهذا ما يجعله نقطة جذب سياحي مما يكون له مردود سياحي واقتصادي للمنطقة، مما يستوجب المحافظة عليها كتراث لهذه الأمة وبالتالي تحقيق الاستمرارية التاريخية لهذا السوق الدال على ثقافة السكان وانعكاسات ظروفهم الاقتصادي والاجتماعية، فهي صورة من الماضي وسجل مليء بالحكايات والقصص ووجه مشرق لجانب من حياتنا وجب المحافظة عليه ورعايته.

1-1- عناصر السوق التراثي:

لا يمكننا أن ننظر إلى وحدة من وحدات السوق أو فضاء محدد لوحدة أو كتلة بنائية على أنها عنصر من عناصر النسيج الحضري فحسب استيقن بيترسون Peterson Steven فيسميه الحقل ويعطيه تدرجا:

- ✓ الشارع أو ممر الحركة.
- ✓ ساحة (منطقة التجمع).
- ✓ الرقعة البنائية.

1-2- مكونات السوق السياحي:

يتكون السوق السياحي من مكونين رئيسيين هما:

أ. **العرض السياحي:** يعتبر العرض السياحي عاملا جوهريا في جذب الحركة السياحية أو ما يسمى بالطلب السياحي وهو يتضمن كل ما يمكن عرضه من وسائل جذبا للسياح والمنتوج ومن جهة تنمية الحركة السياحية واستدامتها.⁶

ب. **العرض السياحي:** يعرف عموما بكمية السلع والخدمات المتواجدة في السوق وبسعر معطى وهو أيضا مجموع المعالم الطبيعية وعناصر الجذب المختلفة لمنطقة معينة.

ب. التنمية السياحية:

تعرف على أنها مدى اتساع قاعدة التسهيلات والخدمات لكي تتلاقى مع احتياجات السائحين. تعد السياحة نشاطا اقتصاديا يتأثر بعامل الأسعار خاصة أسعار الخدمات السياحية ، أو عدم قابلية المنتج السياحي للتخزين خاصة وان التسوق السياحي بعيد الخريف موسمي مما يؤدي إلى عدم ثبات التشغيل في الصناعة السياحية.

أهداف التنمية السياحية:**1-2**

- أ. **أهداف الاقتصادية:** تحسين وضع ميزان المدفوعات. وتحقيق التنمية الإقليمية خصوصا إيجاد فرع جديد في المناطق الريفية، مع توفير خدمات البنية التحتية، وزيادة مستوى الدخل.
- ب. **أهداف الاجتماعية:** توفير تسهيلات ترفيه واستجمام السكان المحليين، وحماية وإشباع الرغبات الاجتماعية للإفراد المحليين.
- ج. **أهداف البيئية:** المحافظة على البيئة ومنع تدهورها ووضع إجراءات لحمايتها.
- د. **أهداف السياسية والثقافية:** نشر الثقافات وزيادة التواصل بين الشعوب. وتطوير العلاقات السياسية بين الحكومات في الدول السياحية.

2-2- أنواع السياحة التي تتلائم وخصائص المنطقة:

- أ. **السياحة الترفيهية:** تهدف إلى مشاهدة الطبيعة لغرض الراحة النفسية.
- ب. **السياحة البيئية:** السفر إلى منطقة التوسع السياحي لغرض استكشافي
- ج. **البيئة الثقافية:** التنقيب على مستوى المواقع الأثرية.

د. السياحة الاجتماعية: التعرف على عادات وتقاليد السكان لما له تأثير إيجابي في اقتصاد المنطقة من خلال إحياء التظاهرات الاجتماعية بالأعياد المحلية.

هـ. السياحة الصيفية: تعمل على تنشيط السياحة الداخلة بأحياء التظاهرات الثقافية السنوية لسوق عيد الخريف الذي يقام بالمنطقة وتنوع نشاطاتها الثقافية والاجتماعية ، وعليه لابد من إنشاء وتوفير مرافق سياحية باعتبار أن هذا الموسم هو فصل العطلة السنوية.

نجاح السياحة في منطقة الدراسة مرتبط بالاستغلال الأمثل للتظاهرة وتنظيم أنماط الزيارات اليومية للسوق وبالتالي يستلزم توفير بعض هياكل الاستقبال مع مراعاة الحماية الخاصة للسواح للمحافظة على محيط السوق لازدهار السياحة وانتعاشها ، ومنه ضرورة تحقيق التوازن بين السياحة والبيئة من جهة وبين المصالح الاقتصادية والاجتماعية .

2-3- الأهمية الاجتماعية والثقافية للسياحة: تعمل السياحة على المحافظة على التوازن الثقافي في المواقع

السياحية على أنها تحافظ على عناصر الجذب السياحي من حيث:

- ✓ المحافظة على الإرث الثقافي والتاريخي للأنماط المعمارية المميزة في كل منطقة.
- ✓ إحياء الفنون و المناسبات التقليدية وبعض مظاهر الحياة المحلية.
- ✓ تنظيم المهرجانات والمناسبات الثقافية مثل تظاهرة سوق عيد الخرف كعنصر جذب للسياحة الداخلية والخارجية.

3. التنمية المستدامة :

تعرف على أنها محاربة الحد من التعارض الذي يؤدي إلى تدهور البيئة عن طريق إيجاد وسيلة لإحداث تكامل مع البيئة الاقتصادية.⁷

3-1- مبادئ التنمية المستدامة:

- أ. مبدأ العدالة: يشير مبدأ العدالة إلى إمكانية حصولنا على حقوق متوازنة في المجتمع من حيث المكانة والثروة والمشاركة المنصفة في عملية التنمية من خلال السعي إلى اكتشاف مقومات التنمية.
- ب. مبدأ التمكين: إن مفهوم التمكين بعد من المفاهيم الرئيسية في تأكيد مقومات التنمية المستدامة وتعني كلمة التمكين أن الناس يجب أن يكونوا في وضعية المشاركة الكاملة في القرارات والآليات التي توجه حياتهم ليتمكنوا من التعبير عن حاجاتهم ومشاكلهم الفعلية.

ج. مبدأ التقارب الاجتماعي: تطبيقه يركز على تنمية الموارد البشرية والقضاء على البطالة وعدم تهميش فئات واسعة من المجتمع وتطور التمكين والمشاركة وتثبيت مبدأ المسالة وحسن الإدارة.⁸

3-2- متطلبات التنمية المستدامة:

لتحقيق تنمية مستدامة فعالة يتطلب التوافق والانسجام بن الأنظمة التالية:

- النظام السياسي: يضمن الديمقراطية واتخاذ القرار.
- النظام الاقتصادي: تحقيق الفائض والاعتماد على الذات.
- النظام الاجتماعي: الانسجام مع المخططات التنموية وأساليب تنفيذها.
- النظام الإنتاجي: تكريس مبدأ الجدوة البيئية في المشاريع.
- النظام التكنولوجي: البحث وإيجاد الحلول لوما يوجه من مشكلات.
- النظام الدولي: يعزز التعاون والتبادل للخبرات في مشروع التنمية.
- النظام الإداري: يملك القدرة على التصحيح الذاتي.
- النظام الثقافي: تأصيل البعد البيئي في كل أنشطة الحياة العامة والتنمية المستدامة خاصة⁹

4. التنمية السياحية المستدامة:

تعرف التنمية السياحية على أنها مختلف البرامج التي تهدف إلى تحقيق الزيادة المستقرة والمتوازنة في الموارد السياحية وتعميق وترشيد الإنتاجية في القطاع السياحي، والسياحة المستدامة هي نقطة تلاقي ما بين احتياجات الزوار والمنطقة المضيفة لهم بحي يتم إدارة جميع المصادر بطريق توفر الاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية والروحية وتحفظ في الوقت ذاته على الواقع الحضاري والتنوع الحيوي.¹⁰

كما تعرف بأنها التنمية التي تلبي احتياجات السائحين في المنطقة المستقبلية للسياح وتعمل على تنشيط وحماية الموارد السياحية واستدامتها واستفادة السكان المحليين ليكونوا الداعم الأساسي للسياحة في مجتمعاتهم على المدى البعيد، وتعتبر من المفاهيم التنموية الحديثة التي تسعى لترسيخ ثقافة الحفاظ على البيئة واستدامته مواردها، حيث يعتبرها العديد على أنها نموذجا تنمويا بديلا للنموذج الصناعي.

✓ التنمية المستدامة والبعد الاقتصادي: هي إجراء في خفض استهلاك الطاقة.

✓ التنمية المستدامة والبعد الاجتماعي: تعني السعي من اجل استقرار النمو السكاني ورفع مستوى الخدمات الصحية والتعليمية، وبالتالي فالتنمية المستدامة هي تنمية حقيقية ذات القدرة على الاستمرار والتواصل من منظور استخدامها للموارد الطبيعية¹¹

✓ **السياحة الثقافية:** إن الغاية من السياحة الثقافية إنماء القطاع السياحي وتنويع المنتجات السياحية وجذب السائحين من خلال استغلال ما تنطوي عليه الثقافات من محتوى ومن ما توفره من أشكال التعبير الفني ، ولتحقيق ذلك لابد من توفر مجموعة من الأطر.

4-1- أشكال التنمية السياحية: تأخذ التنمية السياحية أشكالا متعددة منها:

أ. **المنتجات السياحية:** تعرف على أنها المواقع التي توفر الاكتفاء الذاتي وتتوفر فيه أنشطة سياحية مختلفة، ويركز هذا النوع من التنمية على سياحة العطل بخدماته المختلفة لأغراض الترفيه والاستجمام والاستراحة.

ب. **القرى السياحية:** شكل من أشكال السياحة تستهوي سكان المدن من أجل التغيير والبساطة وتقوم على توفر عناصر الماء (شواطئ، موانئ، الجبال، الحدائق، المواقع الطبيعية والتاريخية) والمرافق التكميلية (الأسواق، خدمات ترفيهية..).

فالوعي السياحي عنصر مهم وعامل مؤثر في السياحة وتطورها من جهة والسائح والتأثير في نفسيته من جهة أخرى، ولذا فإن أغلب الدول التي تمتلك حركة سياحية تعد برامج وهيكلية عمل في معاملة السائح الوطني والأجنبي، خاصة لأن السائح الذي يزور منطقة معينة أو بلد معين ينقل صورته وتطلعاته ومشاهداته ومعاملة الناس له إلى أفراد مجتمعه الأصل، فإذا كانت الصورة التي ينقلها جيدة ومعاملة الناس له لائقة سيُشجع الآخرون على الوفود إلى المنطقة، وبالعكس إذا كانت الصورة عكس ذلك فإن هذا يؤثر بالسلب على حركة السياحة. إذن يجب علينا أن نزرع التوعية السياحية لزيادة الوعي السياحي لديهم لينعكس ذلك في كيفية معاملة السائح.

ثالثا: اثنوغرافيا سوق عيد الخريف:

السوق عبارة عن تجمع تجاري يتصف بحركة سكانية كثيفة، ويعتبر المحرك الرابط لباقي المنطقة وأنشطتها المختلفة، كما أن لها تكوين بنائي يخدم احتياجات اقتصادية.¹²

1. الدراسة الداخلية للسوق:

تظاهرة سوق عيد الخريف هي تظاهرة اقتصادية تقام ببلدية تكوت بمدينة باتنة تقام في نهاية فصل الصيف وبداية فصل الخريف أواخر شهر أوت أيام 27 . 28 و 29 من كل سنة منذ عدة قرون. حيث تستضيف التجار الوافدين بمختلف السلع ومن مختلف المناطق والولايات المجاورة لمدينة باتنة من كل الولايات لبيع سلعهم ومنتجاتهم وفيها يعرض السكان المحليون منتجاتهم الفلاحية.

يعتبر هذا السوق من أهم التظاهرات الثقافية والاقتصادية السنوية بالمنطقة ، حيث تشهد إقبال من مختلف الولايات والمناطق المجاورة من تجار وزوار لبيع وشراء المنتجات المختلفة التي تعبر عن ثقافة وأصالة المنطقة من خضر وفواكه (تين مجفف، المرمز، الفرماس، الدهان، الكليلة، القمح والشعير، والتمر .. الخ) وأثناء تجوالنا بالسوق وقفنا على باعة يعرضون منتجاتهم التي هي عبارة عن حرف تقليدية (طجين، تاجرة، فاس، قفف ...) كانت تباع قديما بالمقايضة ويدوم عرضها إلى أن تباع السلع المعروضة. كما صادفنا مظاهر لبيع للملابس والأحذية العصرية المنتشرة أمام البائع بشكل كبير كمظهر لغزو العصري على التقليدي وانجراف الأهالي لما هو عصري وحديث. وهي اليوم تحاول الصمود في وجه التغير.

إلا أنه لهذا السوق طابع اجتماعي وثقافي سياحي عميق يعود إلى القرن الثامن عشر أو التاسع عشر ميلادي حسب العارفين بتاريخ المنطقة، والذين أكدوا لنا أنه بتوافد فرق عرش بني بوسليمان إلى منطقة " تكوت واينوغيسن ووادي الأبيض " خلال القرن السابع عشر ميلادي شرعوا في الأنشطة الفلاحية وتولدت فكرة السوق الذي يعتبر أساس هذه التظاهرة، كما تتخلله نشاطات تجارية وثقافية وفنية مختلفة وبالتالي هي فرصة سنوية للقاء الأعيان لمناقشة القضايا المطروحة عرفيا في مقدمة ذلك مسائل الزواج والدية وغيرها من المسائل الاجتماعية ك شروط الزواج والمعاملات المختلفة وحل مشاكلهم عرفيا سواء بينهم أو بين الاعراش الأخرى .هذا بالإضافة إلى إقامة حفلات وأعراس.... الخ. حيث يجتمع الأعيان لتدارس المسائل الاجتماعية وتسوية مختلف المشاكل والقضايا المطروحة وفق الشريعة والأحكام العرفية حتى بات لهم وثيقة رسمية كمرجع مكتوب لسكان المنطقة يعودون إليها للمراجعة والتدارس ويطبقون محتواها بانصياع واعتراف اجتماعي لبنودها مستلمين في ذلك لسلطة العادات والتقاليد وذلك ما وقفنا عليه خلال دراستنا في مذكرة الماجستير حيث وقفنا على وثيقة تؤطر الزواج في المنطقة. وانه بعد مراجعتنا للوثيقة العرفية تبين لنا انه تم مراجعة بند الدية في حالة القتل التي أضيف لها مبلغ مالي لكل من يقوم بعملية القتل والتنكيل بالجثة والذي يحدده الأعيان بالإجماع وغيرها من المعاملات الاجتماعية.

ويسعى أهل المنطقة والمنظمون للتظاهرة إلى الاستثمار لتعزيز التنمية السياحية بالمنطقة وتشجيع تسويق المنتجات وإحياء قيمة التراث المادي واللامادي، مع تنظيم معارض للمنتجات المحلي بغية إيجاد أرضية خصبة لتعزيز التنمية السياحية . أمام قلة الاهتمام بالنشاطات الحرفية التقليدية وتراجع الاهتمام بالإنتاج الفلاحي، إضافة إلى غياب آليات التنظيم للسوق حتى يتمشى مع متطلبات العصر في خدمة التنمية السياحية.

إن أهمية هذا السوق فضلا عن كونه من أقدم الأسواق تكمن في العدد الكبير من المنتجات الموجودة فيه فضلا عن كونه يمثل استمرار نمو العمود الفقري وتكوين المنطقة، ترتبط فيه الممرات والأزقة والشوارع المؤدية إلى قلب

البلدية وقطاعاتها السكنية، بحيث تحقق التكامل بين فضاءات السوق من دون الإخلال بالتوازن المطلوب بين المناطق العامة والخاصة في السوق ، حيث يتميز ببساطة البنية المعمارية الخارجية مقارنة بالداخلية ولاسيما طرق التسقيف للمحلات التي تضمن حماية للمعروضات ويمكن ملاحظة الاستمرار والترابط في الفضاء بطريقة ذكية توحى بعمق الانتماء الذي يتحسسه الداخل للسوق في أثناء حركته وتنقله ، وتعزز هذا الإحساس في طريقة العرض التي تضفي التشويق وتتيح الفرصة لتجربة المنتجة عند السير في هذا السوق.

نمط الشوارع في هذا السوق لا تختلف عن غيرها من باقي الأسواق نمط جديد داخل على النسيج العضوي التقليدي وهذا ما صرح لنا به من قبلناهم من أهل المنطقة من كبار السن الذين عايشوا السوق منذ حقبة زمنية ، حيث انه وحسبهم فلن سوق عيد الخريف بدا يعاني من زحف يد التغيير ومهدد بمحو ملامحه التقليدية التي كانت تستقطب إليه الباعة والزوار من المناطق المجاورة القريبة وحتى البعيدة والتي تكاد أن تحوله إلى سوق حضري يسلب منه طابعه الأثري، وذلك الذي وقفنا عليه خلال تواجدها في السوق من زحف للمنتجات العصرية بشكل كبير وواضح مقارنة بالمنتجات التقليدية التي هي في الأساس تشمل على كل ماجادت به الأرض من محاصيل وكل ما أنتجه الإنسان من هذه المحاصيل. وان عملية البيع والشراء حسب المخبرين الذين قابلناهم التي مارسوها قديما فقد تغيرت بعيدا عن المقايضة وحل محلها البيع والشراء للعديد من المنتجات.

عادة ما تكون الأسواق ملتقى لنشاطات الإنسان وهي في الوقت ذاته منبع لتلبية حاجاته ، فنجد في السوق أماكن لتزويد الناس بالثقافة ومجالات أخرى لصنع القرارات المهمة كما هو معهود في هذا السوق الذي يناقش العديد من قضايا الزواج والميراث والتعاملات خلال هذه التظاهرة. فيعيد صياغة بنودها أو تعديلها لتصبح قوانين وأعراف ملزمة لكل أهل المنطقة ، وهكذا برزت أهمية السوق لبلدية تكوت منذ القدم وتطورت هذه الأهمية مع الوقت .

تختلف المساحات في هذه الحوانيت عبر طول السوق فمنها ما تكون مساحتها كبيرة ومنها ما تكون مساحتها صغيرة ويرتبط هذا بغرض التجارة ، ويعتبر الشارع الذي يتوسط سوق عيد الخريف التراثي عنصر مهم للحركة التجارية وعادة يكون ضيق ويلعب دورا كبيرا في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

أ. اللغة التواصلية في السوق:

الداخل إلى السوق الشعبي أكثر ما يلفت انتباهه تلك اللغة التواصلية للباعة والعارضين لبضاعتهم في تواصلهم مع الأفراد، فاللغة في السوق ليست مجرد أسلوب تواصل إنما تتحول إلى ممارسة أسلوب تفكير، حيث يستخدم الباعة ألفاظ وتعابير مرتجلة أكثر ما يميزها الجرس الموسيقي لوقع الكلمات بين السجع والجناس من غير تكلف أو انتقاء لها، إنما هي كلمات لاواعية يستخدمها الباعة بعيدا عن مفاهيم اللغة ومضامينها لغرض واحد التسويق

لبضاعتهم. فرغم النسيج المتألق للعبارات المتداولة في السوق وجمالية صورها إلا أنها تبقى مجرد لغة تبنى عليها عملية البيع في هذا السواق الشعبي بعيدا عن الانتقاء العلمي إذا ما قورنت بالبازارات والسيروماركات الكبرى التي تحولت فيها اللغة إلى لافتات اشهارية، فالبائع الشعبي يحمل في زيه صورة ولوحة فنية متحركة في الحياة اليومية تتوغل في عمل الوجدان الجمعي الشعبي.

ب. العلاقات الإنسانية في السوق

الداخل إلى سوق عيد الخريف الشعبي، سيلاحظ أن ثمة علاقات مختلفة تقام بين البائع والزبون فأحيانا يترك الزبون بضاعته التي قام بشرائها بجوار أحد الباعة حتى تنتهي من عملية الشراء، أو بائع يبيع بضاعة بائع آخر انصرف لبعض أشغاله. هنا اتفاق ضمني غير مكتوب بينهما لحفظ هذه الأمانات بينهما. ويظهر هنا كيف تصبح القيم السلبية والإيجابية غير مدونة في فضاء السوق، وإنما معروفة ضمناً، بعكس لافتة الأمانات في المحال الكبرى التي تغيب فيها التعاملات الضمنية أو الذاتية، وتبرز التعاملات المكتوبة كمقوم رئيسي في التعاملات. وكذلك تغيب الآلات الحاسبة في السوق، لتصبح ممارسة الحسابات جهداً ذهنياً قائماً على الخبرة.

ج. كراء وضرائب السوق:

يتوافد على سوق عيد الخريف الذكور من الأطفال والرجال والشيخوخ ونادرا ما تجد النساء إلا وكانت كبيرة في السن أو برفقة رجل قد يكون الابن أو الزوج . ويبقى الفضاء حكرا على الرجال ما بين عارض ومستهلك كل يقوم بواجباته والتي يأتي في مقدمتها تحقيق الربح بعيدا عن أي ضرائب تفرض على اعتبار أن السوق فرصة للتلاقي والتبادل الثقافي والاجتماعي ومناسبة لتقوية العلاقات الاجتماعية غير انه خلال مقابلتنا لأحد الأعيان بين لنا أن السوق يعتبر مورد أساسي ومهم لاقتصاد المنطقة بما يدره من أرباح، إذ يستوجب ان يفرض على العارضين مبالغ مالية من طف الجهات المنظمة والتي هي تمثل السلطة البلدية في المنطقة لتعود إيراداته بشكل مباشر للخزينة واستغلالها في التنمية . وحسب محدثنا فانه تم تطبيق هذا التعامل الاقتصادي الضريبي الزهيد مع العارضين في السنة الماضية 2018 وكانت مؤشراتته جد واضحة في حين تراجعت مدخلات السوق هذه السنة نظرا لسوء التسيير والتنظيم حيث ترك السوق من دون كراء ولا ضريبة تفرض على العارضين. وعليه فان عملية العرض يشوبها الفوضى والاحتكار للعارضين. ومنه فان الإيرادات المحققة من نواتج السوق تبقى منخفضة جدا. مما جعل العارضين والمنظمين على حد سواء يطالبون بإعادة النظر في البناء الداخلي والخارجي للسوق من اجل تفعيل دوره في التنمية السياحية كمصدر جذب سياحي واقتصادي للمنطقة.

خاتمة

لقد قمنا بتسليط الضوء على الأسواق التراثية ودورها هي تعزيز التنمية السياحية المستدامة متخذين سوق عيد الخريف بمنطقة تكوت بباتنة مدخلا رئيسيا لفهم بنائه بغية تحقيق الأهداف المرجوة بأبعادها الاقتصادية والاجتماعية والبيئية والسياحي كمحور أساسي للتنمية المستدامة بوصفه بوتقة للتنوع الثقافي وعاملا يضمن التنمية المستدامة، ويمكن أن يسهم السوق بفعالية في كل الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والبيئية للتنمية المستدامة. إذ تلعب السياحة الدور البارز في تعمير الأسواق التراثية غير المأهولة والتي يمكن أن تصبح مراكز جذب سياحي وهي بلا شك بنية أساسية يمتد تأثيرها إلى إقامة مجتمعات عمرانية جديدة تضاف منتجاتها إلى الناتج القومي، تعمل على زيادة الترابط الاجتماعي والثقافي بين السكان وفي حين تعمل التنمية السياحية على تشجيع التبادل الثقافي والحضاري و يتيح فرصة للتعرف على العادات والسلوكيات وبذلك تتقارب المسافات الاجتماعية وهذا ما يدعم التراث الإنساني.

قائمة المراجع:

- ¹ -www.elwatan.com/tourisme-mondiale, la destination, 28/05/2010.
- ² -https://www.hisour.com/ar/heritage-tourism-39035/
- ³ -Douglas pace (1989), Tourisme développement, 2nd Edition, new York, Longman : 10
- ⁴ -عمار بخوش :مناهج البحث العلمي وطرق إعداد البحوث، طبعة، 2، الجزائر ديوان المطبوعات الجامعية، 1999ص.
- ⁵ -عبد الله عبد الغني غانم، طرق البحث الانثروبولوجي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر ط 2014، ص 1، ص 117.
- ⁶ - يدو محمد، دور الاتصال في ترقية الخدمات السياحية دراسة تحليلية وتقييمية للسياسة الاتصالية للديوان الوطني للسياحة في الجزائر الملتقى الوطني حول السياحة الواقع والأفاق جامعة البليدة ص 6 .
- ⁷ -السعيد دراجي، التنمية المستدامة من منظور الاقتصاد الإسلامي، الملتقى العلمي الدولي حول سلوك المؤسسة الاقتصادية في ظل رهانات التنمية المستدامة والعدالة الاجتماعية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة ، يومي 20/ 21/ 10/ 2012 ، ص 464
- ⁸ -إيمان محمد الطائي، حسن حمود الفلاحي، التكوين الاجتماعي والثقافي ودورها في التنمية المستدامة، مجلة بحوث التروية والنفسية ، العدد 11، ص 8، ص 37.
- ⁹ -بوخروبة الغالي، إشكالية التنمية المستدامة وأبعادها، الملتقى الوطني حول المحاسبة الخضراء والتدقيق البيئي في ظل التنمية المستدامة، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، يومي 28/29 نوفمبر 2017، ص 10.
- ¹⁰ -عادل صديقي، دور البنوك في تمويل المشاريع السياحية، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، الجزائر، 2006، ص 1.
- ¹¹ عبد الله عياشي أطروحة دكتوراه علوم في العلوم الاقتصادية، استراتيجيه تنمية السياحة البيئية في الجزائر من منظور الاستدامة حظيرة الطاسيلي بولاية البزري نموذجاً، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2015/2016 ص 18.
- ¹² - حيدر عبد الرزاق كمونة، أهمية المحافظة على الأسواق التراثية في المدينة العراقية المعاصرة (مدينة النجف نموذجاً) ص 53.